أفغانستان فى الميدان الدولى

بقلم محمود صابر

وهذا مقال آخر لكاتب مصرى يتحدث فيه عن أفغانستان حديث الخبير العارف ، هو الأستاذ محمود صابر

لقد آن للشعب الأفغانى — ذلك الشعب الباسل الرابض وراء أمنع درع من جبال شم ما إلى اختراقها من سبيل . ذلك الشعب المتدين إلى أبعد حدود التدين ، المتفانى فى الدفاع عن استقلاله تفانياً ظل مدى الأجيال مضرب الأمثال ، ذلك الشعب الخشن الذى اتخذ العمامة شعاراً فشرفها كما شرفته ورفع من قدرها كما رفعته — لقد آن لذلك الشعب القديم النبيل الذى قضى الدهر منكمشاً عن جيرانه ، وراء جدرانه ، أن ينهض أفراده نهضة الأسد يتطلع إلى ما وراء العرين ، وأن يدرك قادته أن العزلة التى لزموها منذ القدم لم تعد السياسة المثلى التى يجب أن يسيروا على نهجها فى مقبل الزمن .

ولن نجد دليلا أقطع على نهضة الأفغان عقب الحرب العظمى نهضة مفاجئة ، من رؤيتها وهى تنتظم فى عداد الدول المجتمعة حول هيئة الأمم المتحدة .

ولا تحسبن دولة الأفغان على انكماشها هذا دويلة ضيقة الشقة

صغيرة الحجم. فإن مساحتها تربى على مساحة فرنسا ونصفها معها. ولقد ظلت دولة الأفغان مدى عهدين متتاليين حاجزاً قائماً على الحيدة المطلقة بين الهند البريطانية وروسيا السوفياتية.

بعد جلاء بريطانيا من الهند :

وعندما تأذن الساعة التى تنمحى فيها السيطرة البريطانية عن الهند نهائياً، لن يتبقى لدولة الأفغان إلا جار واحد شديد المراس قوى البأس، هو الاتحاد السوفياتى. ولكن إذا حدث يوماً أن ترامى إلى أسماع أحد من الأفغانيين أدنى إشارة إلى أن ذلك الجار القوى الجبار سيحاول أن يدخل الدولة الأفغانية فى منطقة نفوذه توطئة لإيقاع الهند بعدها فى قبضته الحديدية، أجابوك جميعاً بلسان واحد وبتصميم واحد: «هذا محال».

دعائم النهضة :

ويعتلى عرش الأفغان الآن الملك ظاهر شاه، وهو شاب فى زهرة الصبا لا يكاد يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر. صبوح الوجه، قوى العضلات، ذو غرام خاص باقتناء المخطوطات الشرقية القديمة، وهذا الملك الشاب عطوف على أسرته. وله ابنان وبنتان. والشعب الأفغانى الشهم يحب ملكه حباً جماً

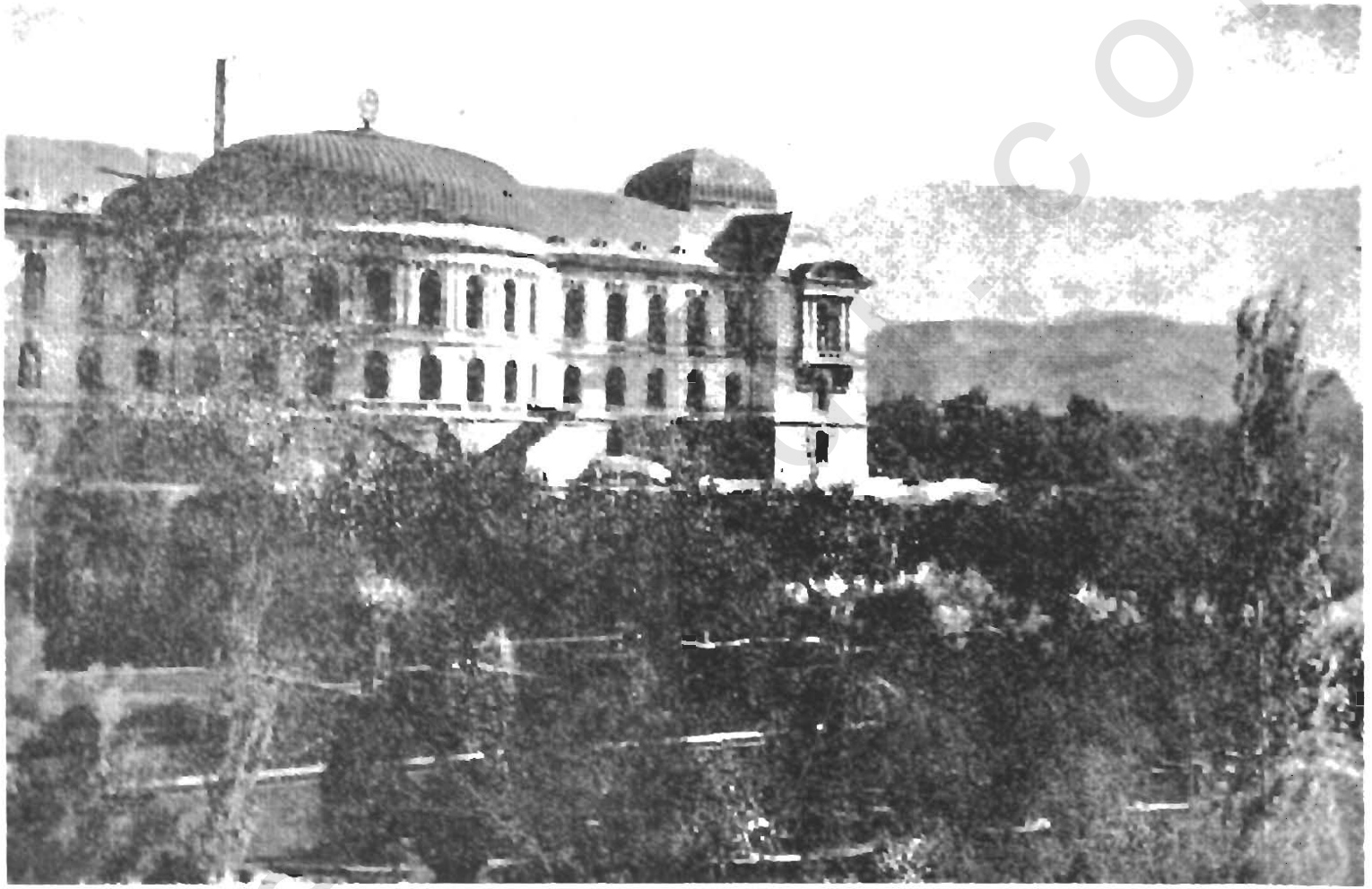

جانب من البرلمان الأفغاني وحدائقه الغناء

obeikandl.com

النظام البرلمانى :

ولا تتبع دولة الأفغان بعد نظام الأحزاب السياسية الذى يتبع فى غيرها من الدول؛ ولكن مجلس وزرائها مع ذلك مسؤول أمام برلمان، ينتخب على الأسلوب الإنجليزى ويعقد جلساته مدى ستة أشهر من كل عام. والبرلمان الأفغانى بناء ضخم جميل شيد على الطراز الحديث على أحد جانبي حدائق الورد الغناء المشهورة فى كابل، وقد قام على الجانب الآخر القصر الملكى العظيم – وفى حالات الطوارىء يدعو الملك إلى جلسة استثنائية أعضاء المجلسين ورؤساء القبائل جميعاً .

عوائق التقدم :

وتنحصر سياسة الحكومة الأفغانية فى إنماء الصناعات فى أرجاء البلاد إنماء متواليا دؤوبا حتى تبلغ بالأفغان إلى مرتبة اقتصادية تكاد تتساوى وسائر الدول الأوربية ، على أن ثمة عوامل تعوق هذا التقدم وهى :

١ – قلة المال .

٢ – نقص المواصلات من سكك حديدية وطرق عامة وغيرها .

٣ – عدم تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية فى دخول البلاد .

فى عهد الملك ظاهر شاه :

ويحرص الملك الشاب ظاهرشاه وعمه الأمير شاه محمود خان ألا يرتكبا نفس الخطأ الذى ارتكبه الملك — أمان الله — الذى خلع فى عام ١٩٢٩ والذى كان قد جال جولة عظيمة فى أرجاء أوربا ثم عاد إلى دولته وحاول أن ينفذ بالقوة تلك الآراء الحديثة التى صادفها فى أثناء تجواله . فغضب رجال القبائل الأفغانية إذ ترامى إليهم أن النساء سيرتدن المحافل سافرات . واشتد الغضب اشتداداً لم يهدىء من سورته إلا رحيل الملك أمان الله مخلوعاً إلى إيطاليا .

الإصلاح والتعليم :

وقد أخذ جلالة الملك ظاهر شاه وعمه الأمير يواليان إدخال الإصلاح فى البلاد فى يسر وبطء ، وحسبنا دليلا على ذلك أن مدارس الدولة الأفغانية كانت قد هدمت كلها فى ثورة عام ١٩٢٩ . وفى الأفغان الآن ما يربى على ٨٠٠ مدرسة . والتعليم الابتدائى إجبارى فى الدولة لجميع الأطفال بين الثامنة والرابعة عشرة ، وهناك مدارس ثانوية عديدة فى أغنب المدن الكبرى ، كما أن هناك جامعة فى كابل ، وهذه المعاهد الدراسية كلها إنما تعد النشء الأفغانى للغاية الجلى التى يصبو إليها الملك الشاب وهى إدماج خير ما فى الشرق وخير

ما فى الغرب فى صعيد واحد ، دون أن يجعل إلى شرور المدنية الحديثة ومساوئها سبيلا إلى بلاده ؛ وفى الحق لقد نجح فى ذلك أبعد نجاح . فليس فى أفغانستان كلها مرقص واحد ولا أماكن للهو والفساد التى انتشرت فى غيرها من البلاد أوسع انتشار وأضره وأقبحه .

جامعة كابل والتعليم الدينى :

وينبغى أن ننوه هنا بما لجامعة كابل من العظمة والاتساع ، فنقول إن بها كليات للعلوم وللطب على جميع أنواعه ، وللعلوم السياسية والاقتصادية وللقانون والآداب ؛ والحكومة الأفغانية دائبة على استكمال جميع فروع هذه الجامعة حتى تضارع أشهر جامعات أوربا وأمريكا .

وتهتم الدولة الأفغانية أشد الاهتمام بالتعليم الدينى وباللغة العربية ، وتكاد تشبه معاهدها (وتسمى دار العلوم الشرعية) القسم النظامى فى الجامع الأزهر ؛ وعدا هذا يوجد فى كل قرية من القرى مسجدها الذى هو فى الواقع — عدا كونه مكاناً للعبادة — مدرسة صغيرة يتولى الإمام فيها تعليم طلبة القرية العلوم الدينية والدنيوية الضرورية .

كيف تنفذ المشروعات :

والذى يلفت النظر فى هذا المقام ويحدو بالألسنة على أن تلهج بالثناء على هذا الشعب الشرقى الناهض ، أن نسمع بأن من العادات

الشائعة فيه أن يجتمع سراة كل قرية من تلقاء أنفسهم ويقوموا بجمع التبرعات اللازمة لإنشاء جامع القرية ومدرسته ويقدموها للحكومة لكى تتخذ من إجراء ما تراه لتنفيذ هذا البرنامج العملى الوئيد العظيم .

تعليم البنات :

ولما كانت أفغانستان لا تزال إلى الآن تتبع سياسة عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وهم يعتقدون أن المرأة حرم مقدس يجب أن يصان عن الأسماع والأنظار، فقد استنت الحكومة نظاماً خاصاً لتعليم الإناث قسمته إلى أنواع ثلاثة ليواجه جميع الحاجات

على الفطرة :

على أننا مع هذا كله يجب أن لا ننسى أن أمة الأفغان لا يزال فيها قوم يعيشون على الفطرة، وهم بدو رحل ينصبون خيامهم وبيوتهم حيث يجدون مرعى خصبا لإبلهم وماشيتهم . ويتجرون فى أسواق عتيقة طال عليها القدم، بل لعلها أقدم ما فى آسيا كلها من أسواق . ولا تزال تعرض فيها إلى الآن تلك البضائع التى اجتذبت إليها الرحالة الشهير (ماركوبولو) منذ أكثر من سبعمائة عام .

أفغانستان بعد الحرب :

ولنعد إلى دولة الأفغان مرة ثانية ولنحاول وصف حالتها بعد الحرب الأخيرة فنقول :

لقد تركت الحرب العالمية الثانية خزانة الدولة الأفغانية عامرة بمبلغ كبير من المال . ولكن الحرب نفسها كانت حائلا دون الاستيراد، وإن ظل تصدير الجلود والصوف والسجاد والقطن مستمرا إلى حد ما، وأكبر الدول استيرادا للبضائع الأفغانية هى الولايات المتحدة .

ويوجد الآن فى الجزء الشمالى من الأفغان مصنعان كبيران للنسيج . وتدأب الحكومة على استخدام فائض الميزانية فى تشييد المصانع وفى الانتفاع بموارد البلاد الطبيعية التى يقال أنها تحتوى على البترول والحديد والنحاس والرصاص والذهب والفضة والكبريت ، ويوجد أيضاً مهابط عظيمة للمياه يمكن تسخيرها فى توليد الكهرباء بمقدار هائل .

لا معونة من أجنبى

ويأبى الأفغانى الواثق من نفسه الشاعر بنبله وبأسه فى علو وكبرياء أن يلتمس معونة أجنبى . وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن فى عنق الأمم العظمى الموسرة واجباً أدبياً أن تبادر إلى معاونة الأمم الصغرى التى

تقل عنها مالا وعلما وحضارة . ولكنه يحجم فى الوقت نفسه عن أن يتنزل عن أية امتيازات اقتصادية لأية دولة من الدول الأجنبية مقابل تلك المعونة التى ينادى بوجوب تقديمها !

وليس يسع أبناء وادى النيل فى هذا المقام إلا أن يقدموا إلى دولة الأفغان وعلى رأسها جلالة ملكها العظيم العادل . أطيب التمنيات بأن تمضى فى طريق الرقى مضيا ثابتاً قوياً لا تقف دونه عقبات سياسية ولا ألاعيب أجنبية ؛ وأن لأختنا الشرقية النبيلة التى ضربت برسوخ إيمانها فى عقيدتها وفى استقلالها أروع الأمثلة — لها فى مصر وفيما قاست ولا تزال تقاسى من تلك الألاعيب لعبرة وذكرى .

محمود صابر

obeikandl.com

منطقة النزاع بين أفغانستان وباكستان

إقليم الحدود الشمالية الغربية، هو آخر إقليم ضم إلى الامبراطورية الإنجليزية الهندية غدراً واغتصاباً ، فقد كان هذا الإقليم إلى ما قبل ستين عاماً جزءاً من أفغانستان ، فأثار الإنجليز فيه الفتن والقلاقل ، ثم انتهزوا فرصة التجاء شاه شجاع الملك المخلوع إليهم فعقدوا معه معاهدة تنازل فيها عن هذا الإقليم مقابل أن يمده الإنجليز بالأموال والأسلحة والرجال ، وفعلا غزا وطنه بجيش إنجليزى جرار ، استولت به إنجلترا على أفغانستان ، وعينت فى الأقاليم التى أخضعتها حكاماً من الإنجليز ، لكن الشعب الأفغانى الحر كان بالمرصاد؛ فما نشرت بنود المعاهدة التى عقدتها إنجلترا مع ذلك الخائن حتى هب هبة رجل واحد فهاجم الجيوش الإنجليزية فى كل مكان وقضى عليها وأعدم الخائن شاه شجاع الملك ، إلا أن هذا الإقليم بقى فى يد الإدارة الإنجليزية ، وكانت أفغانستان دائمة التنبه إلى حقوقها فيه فى كل مناسبة ، كما كانت إنجلترا تحكم هذا الإقليم حكماً مخالفاً لبقية الأقاليم فى الهند ، محافظة على كيان أهله وشخصيتهم ، وكان حكامها يتعاملون اللغة الأفغانية حرصا على شعور السكان الأفغانيين

وليس بصحيح أن أفغانستان كانت راضية عن استيلاء الإنجليز

على ذلك الإقليم ؛ فقد أثارت أفغانستان هذه المشكلة القائمة بينها وبين إنجلترا منذ أكثر من خمسين عاماً ، وقبل أن تترك إنجلترا الهند ، طلبت رسمياً من إنجلترا تسوية المشكلة ما دامت هى ستتخلى عن الهند إلى دولتين ، حتى لا ينتقل النزاع بينها وبين الدولة الجديدة ؛ فاعترفت إنجلترا بالروابط الوثيقة التى تربط أفغانستان بهذا الإقليم ، ووعدت بمنحه الحكم الذاتى محافظة على كيانه وشخصيته ، ولكنها كعادتها تركت المشكلة تنتقل إلى ما بين الشقيقتين ، وكان لا بد لأفغانستان أن تدخل فى مفاوضات مع الحكومة الباكستانية بشأن ذلك . وقد سارت المذاكرات بين الدولتين الشقيقتين سيراً طبيعيا ، وتقدمت كثيراً فى حياة المغفور له القائد الأعظم السيد جناح ، ولكن الحكومة الباكستانية تنكرت لأفغانستان بعد وفاة القائد الأعظم وغيرت سياستها وأعلنت عدم ارتباطها بما يحفظ لذلك الإقليم كيانه وشخصيته .

ولم يكن الاستفتاء الإنجليزى فى هذا الإقليم استفتاء حراً ، فقد خير السكان بين الانضمام إلى باكستان أو هندستان ؛ والإحصائيات الرسمية للاستفتاء تثبت أن الذين أعطوا أصواتهم فى الاستفتاء لا يزيدون على النصف فى المائة من سبعة ملايين ؛ وقد احتجت أفغانستان من أول الأمر على نوع ذلك الاستفتاء ، وطلبت رسميا من إنجلترا أن يكون الاستفتاء حراً ، بأن يطلب من السكان إبداء رأيهم فى مستقبلهم دون أى تقيد بالانضمام إلى هذا أو ذاك ، ولكن إنجلترا نفذت سياستها

الخاصة ؛ وإن أفغانستان لمستعدة إلى اليوم أن تجرى هيئة عربية إسلامية استفتاء حرا فى ذلك الإقليم بعيداً عن كل ضغط ، على أن تسليم بنتيجة هذا الاستفتاء دون اعتراض ، فلماذا لا ترحب باكستان بهذا الرأى ؟ إنه إن كانت الأغلبية فى ذلك الإقليم من أنصار الانضمام إلى باكستان، فلماذا تخشى باكستان هذا الاستفتاء الحر؟

إنه خير لباكستان الدولة المسلمة أن يسلم حكامها لإخوانهم المسلمين بحقوقهم ، وأن يجعلوا من كافة المسلمين سندا لهم . والعالم الإسلامى يعرف أفغانستان وتاريخها المشرف ضد الاستعمار ، وخير للمسلمين أن يزول الجفاء بين الدولتين الشقيقتين وأن تسوى الخلافات بينهما ، وعسى أن تتغلب الحكمة ومنطق الأخوة الإسلامية على حكام باكستان فى معالجة المشاكل القائمة بين بلادهم وبين أفغانستان قبل استفحال الأمر وفوات الأوان .

إن الحكومة الأفغانية قد اجتنبت التصادم مع باكستان، ولم تزل توصى الأفغانيين بالهدوء والسكينة ، مع أن إحدى طائرات باكستان قد ألقت قنابلها يوم ١٢ يونيه ١٩٤٩ على (مغولكى) داخل أراضى أفغانستان ، فقتل وجرح عدد كبير .

ولقد أذاعت وزارة خارجية باكستان فى ٢٣ يونيه ١٩٤٩ بلاغاً رسمياً أنكرت فيه اعتداءها الأثيم على المسالمين فى « مغولكى » واقترحت تأليف لجنة مشتركة لبحث ما حدث ، وضللت الرأى العام بقولها.

لقد ذهبت هيئة دولية مكونة من الملحقين الحربيين لسفارتى الهند وأمريكا والممثلين الرسميين للسفارات التركية والإيرانية والبريطانية والفرنسية والمفوضيات المصرية والعربية السعودية والأردنية الهاشمية والإيطالية إلى مدينة « خوست » على متن أحدى الطائرات الأفغانية فى صباح يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٩ ومنها ذهبوا إلى « أزاركى » بالسيارات ثم إلى « مغولكى » على الخيول ، وكان يرافق حضراتهم سعادة رئيس أركان حرب الجيش الأفغانى ، وعضوان من البرلمان الأفغانى ، ومندوب وكالة (باختر) للأنباء الأفغانية ، فشاهدوا آثار الغارة الباكستانية ، ثم اتجهوا إلى أعلى تل فى (مغولكى) فوجدوا أنها على بعد كيلومترات من خط الحدود .

وكذلك وافقت الحكومة الأفغانية على اقتراح باكستان تكوين لجنة مشتركة ، فوصل الوفد الباكستانى برئاسة معالى عبد الرب نشتر وزير المواصلات يوم ١٩٤٩/٧/١٨ إلى كابل ، وكان يرأس الوفد الأفغانى معالى محمد كبير خان وزير الفوائد العامة ، وقد ذهبوا جميعاً يوم ١٩٤٩/٧/١٩ إلى « مغولكى » ثم عادوا إلى « كابل » بعد المعاينة وتألفت هيئة تحقيق مشتركة ذهبت إلى « ميرانشاه » قاعدة السلاح الجوى الباكستانى فى إقليم الحدود الشمالية الغربية ، وحققت مع الطيار المعتدى ، فاعترف بإلقائه القنابل على « مغولكى » إلا أنه اعتذر بجهله خط الحدود ، وأنه كان يظن نفسه داخل أراضى إقليم الحدود الشمالية

الغربية ، ثم رجعت هذه الهيئة المشتركة إلى « كابل » ، فقدم الوفد الباكستانى اعتذار حكومته لما حدث ، وأبدى استعدادها لدفع التعويضات اللازمة . وهكذا ثبت للعالم أن الاعتداء على أرض أفغانية لم تكن من نسج خيال الحكومة الأفغانية .

لقد كتب الكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب فى مقالة بمجلة مسامرات الجيب يوم ٢٦ يونيه ١٩٤٩ تحت عنوان « مصر والعالم » ما يأتى :

« نريد باكستان وأفغانستان جارتين إسلاميتين مستقلتين ذاتى سيادة ، ونحن نرجو من الأعماق أن تعرج أمثال هاتين الشقيقتين فى مراقى العظمة عروجاً دائباً لا ينقطع . . . ومن أسباب عظمتهما أن يستتب بينهما الأخاء الحميم والحب العميق ، فليس فى البلاد الإسلامية داء أودى بمجدها كداء التنافر والتحاسد والخصام . آه لو اتحدت دول العروبة والإسلام . . إذن لكانت قوة عالمية يحسب لها حساب أى حساب »

وإن الشعب الأفغانى ليؤمن بما يؤمن به الأستاذ دياب المخلص للإسلام والعروبة ؛ فهل اطلع على آرائه رجال باكستان الذين اعتدوا بطائراتهم على حرمة جارتهم المسلمة ولا يزالون يدبرون المؤامرات ضدها ؟ .

لقد ألقى حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » ملك أفغانستان خطاب العرش فى افتتاح البرلمان أوائل يوليه ١٩٤٩ الذى جاء فيه « أن سياسة حكومتنا الخارجية مبنية على احترام الحقوق الدولية

ومبادئ هيئة الأمم المتحدة وبذل كل الجهود للمحافظة على السلام العالمى.

«وعلاقاتنا مع إخواننا الدول الإسلامية واشتراكنا سوياً فى حل المشاكل الدولية قد تقدمت والحمد لله تقدماً كبيراً، ولكن بعض رجال باكستان قد فسروا رغبات حكومتنا تفسيراً خاطئاً، ثم وضعوا عقبات كبيرة ضد تجاراتنا الخارجية؛ ويؤسفنا أن نقول إن علاقاتنا معها غير أخوية، ولا سيما بعد اعتداء طائراتها على أراضى بلادنا المسالمة؛ إننا حريصون على صداقة جارتنا المسلمة، ولكن لا يمكننا غض الطرف عن رغبات إخواننا الأفغانيين فيما وراء خط «ديورند» فنحن مسئولون عن رخاء أولئك الإخوان وتمتعهم بحقوقهم العادلة».

وقد اتخذ البرلمان الأفغانى قرارا فى الرد على خطاب العرش جاء فيه:

«إن رغبات جلالة الملك المعظم نحو سلام العالم من واجباتنا الدائمة، ونحن موافقون على سياسة الحكومة المبنية على احترام القوانين الدولية والمحافظة على المبادئ الأساسية لهيئة الأمم المتحدة وحقوق الإنسان

«وإننا متألمون من السياسة العدائية التى يتخذها بعض رجال باكستان، والعقبات التى يضعونها فى سبيل تجاراتنا الخارجية، ولا يعتبر البرلمان نفسه مقيدا بأى معاهدة أبرمتها حكومات أفغانستان السابقة مع الحكومة البريطانية القديمة قبل تكوين باكستان؛ ولذلك فسنتعاون مع حكومتنا تمام التعاون فى مقاومة العقبات الاقتصادية التى وضعتها حكومة باكستان، ونقرر أن استقلال جميع إخواننا الأفغانيين من شترال إلى بلوخستان

من أهم أمانينا التى لن نتنازل عنها » .

وهكذا فإن النزاع بين أفغانستان وباكستان باق إلى اليوم، ويشتد شهراً بعد آخر ؛ فإذا لم تتنازل حكومة باكستان عن كبريائها وغرورها، وإذا لم تمد يدها إلى أفغانستان لحل مشكلة إقليم الحدود الشمالية الغربية بما يحفظ له شخصيته الخاصة وحقوقه المشروعة، فستترتب على ذلك نتائج سيئة بالغة الخطورة .

إن أفغانستان تريد أن تعيش فى سلام وأمان، وأن تكون علاقاتها مع جارتها باكستان أخوية وثيقة متينة .

وفضلا عن مشكلة إقليم الحدود فمن حق أفغانستان أن تطالب بحقوق وضمانات لتجارتها من حيث التصدير والاستيراد ؛ فهى حياتها وعليها تتوقف كل مشروعاتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، ولابد لها أن تسير فى موكب المدنية الذى يشترك فيه العالم كله .

كما أن أفغانستان لا تستطيع السكوت على قضاء حكومة باكستان على كيان شخصية سبعة ملايين من الأفغان فى إقليم الحدود الشمالية الغربية . فروابط الدم واللغة والعادات وقربى النسب والمصاهرة والمصالح المشتركة ، تفرض عليها أن تطالب وتلح فى منح هؤلاء حقوقهم التامة الكاملة والضمانات الكافية لعدم الاعتداء على كيانهم الخاص وشخصيتهم المستقلة فى المستقبل .

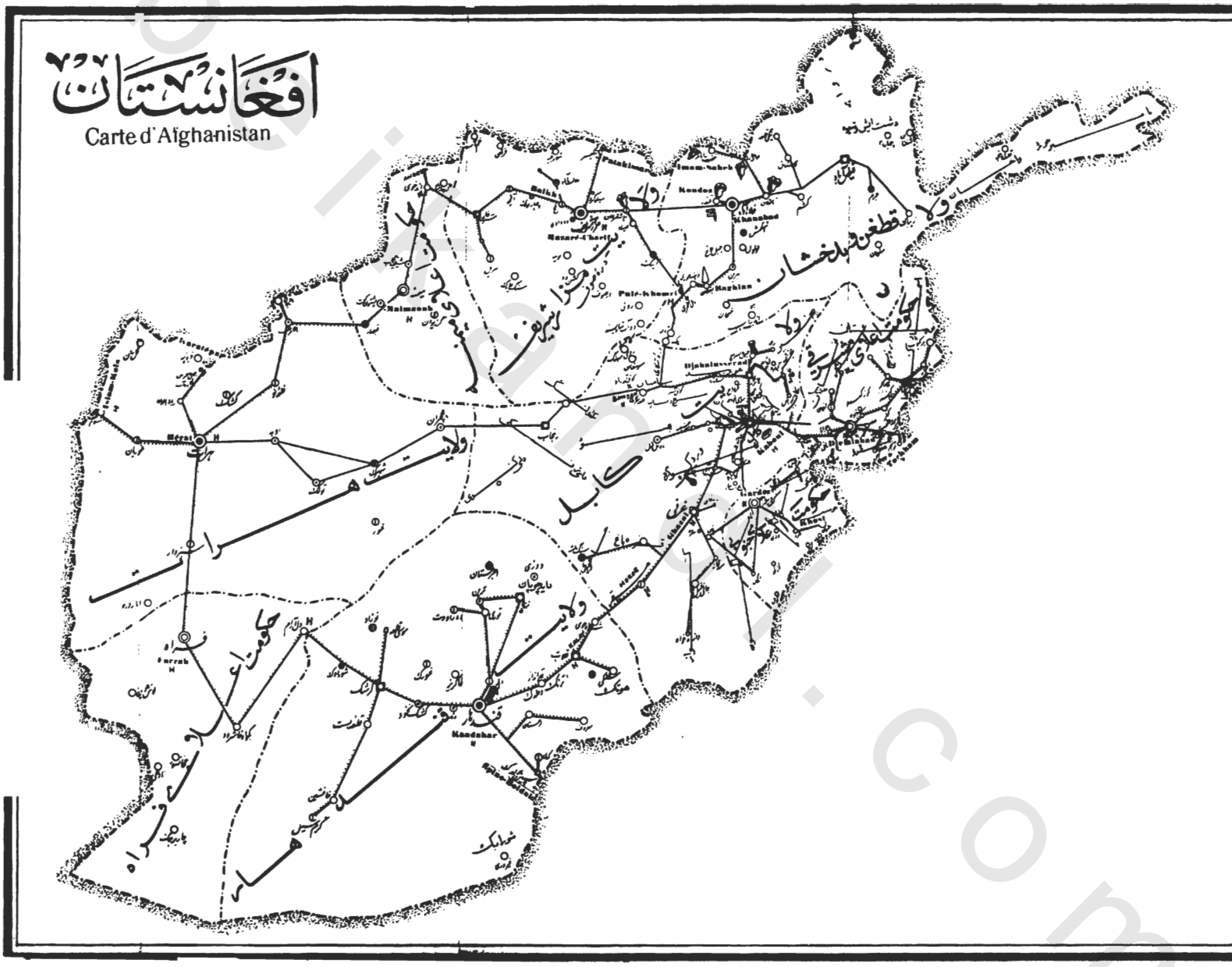
افغانستان
Carte d'Afghanistan
Kunduz
Baghlan
Mazar-i-Sharif
Kabul
Herat
Kandahar
Jalalabad